العدد الثاني
شباط (فبراير) ١٩٥٩
السنة السابعة

No. 2 Fev. 1959
7ème année

الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

بيروت
ص.ب ٤١٢٣ ـ تلفون ٣٢٨٣٢
AL-ADAB REVUE MENSUELLE CULTURELLE
BEYROUTH. LIBAN B.P. 4123
Tél. 32832

رئيس التحرير
والمدير المسؤول
الدكتور سهيل ادريس

Rédacteur en chef et directeur
SOUHEIL IDRISS

معركة الثقافة في لبنان

بقلم الدكتور سهيل ادريس

تعرض لبنان هذا الشهر لازمة عنيفة تهددته ذات لحظة بثورة تشبه الثورة التي عصفت به منذ اشهر . وكان منشأ هذه الازمة صدور مرسوم اشتراعي يلغي تدريس الحقوق والعلوم السياسية والاقتصادية باللغة العربية في الاكاديمية اللبنانية ، بحجة ان ذلك يدني مستوى التعليم العالي في لبنان .

وكان واضحا ان المقصود من ذلك توجيه طعنة الى مبدأ التدريس باللغة العربية ، ومحاولة منح امتياز للغة الفرنسية التي تدرس بها مواد الحقوق في الجامعة اليسوعية ببيروت . اما قصة تدني المستوى التعليمي ، فليست الا ذريعة واهية ما لبث معتنقوها انفسهم ان تخلوا عنها ...

وكان طبيعيا ان يثور الطلاب في لبنان لهذا التدبير ، فيعلنوا اضرابا واسعا شمل معظم المعاهد اللبنانية بمختلف صفوفها ، ويتظاهروا في الشوارع احتجاجا ، وحين طال الامد بالاضراب حتى خشي الطلاب ان يجهض ، عمدوا الى الصوم ، معبرين بذلك عن استعدادهم للتضحية بنفوسهم دفاعا عن هذه القضية .

وقد كان يخيل لمن يراقب جموع الطلاب تتدفق في الشوارع ، ويسمع اولئك الاطفال خاصة يهتفون « بدنا اللغة العربية » أن هذه حركة شارعية « غوغائية » لا يكمن وراءها وعي ناضج . وهذا في راينا ضلال وزيغ ، فاذا كان حقيقيا ان هؤلاء الصبية لم يكونوا يدركون ابعاد القضية ، فليس حقيقيا أنهم كانوا غافلين عن الخطر الذي يتهددهم .. لقد كانت اعماقهم تعي بان احد مقدساتهم يتعرض في هذه الفترة لاعظم الاخطار ، وان لغتهم الام التي بها يتخاطبون ويتفاهمون ويتحابون توشك ان تهان وتذل ، لاسيما وان اعداءها يتهمونها بالقصور والعجز في التعبير عن بلوغ المستوى الثقافي الرفيع .

وآية ذلك ان الطلاب قد هدأوا واخلدوا الى السكينة حين جاءهم الوعد بان لغتهم ستصان ، وان معهدا للحقوق يدرس مواده باللغة العربية سينشأ باشراف الدولة ، فزايلهم الخوف ولبثوا ينتظرون . حتى اذا تبين لهم ان هذا الوعد لن يتحقق عادوا الى اضراب الاحتجاج ... وهنا لعبت اصابع اجنبية ، واصابع محلية مأجورة للاجنبي ، فافتعلت لدى فئة من الطلاب ينقصهم الوعي القومي اضرابا معاكسا تلبس ابشع وجه من وجوه هذه الازمة ، وكاد يدخل الى قلوب المخلصين يأسا مريرا من ان يكون تقدم لبنان وتطوره امرين مستحيلين .

ولم يكن معقولا ان يخذل اولئك الطلاب المخلصون في قضيتهم الحق ، ولو قد خذلوا لزحف الى لبنان من جديد شبح الثورة والدم ، فاستجيب مطلبهم وتقرر لدى المسؤولين الحفاظ على قدسية اللغة العربية وسيادتها ، وانشيء معهد جديد يدرس الحقوق والعلوم الاقتصادية والسياسية باللغة العربية .

***

ولا شك في أن هذه المعركة التي شهدها لبنان هذا الشهر ، معركة بالغة الاهمية ، لانها مظهر جلي من معركة الثقافة اجمالا في لبنان .

انها معركة الاستقلال الثقافي ، هذا الاستقلال الذي ما فتئت بعض العناصر التي لا تؤمن بنعمة الاستقلال عامة تحاربه وتناصبه العداء ، وتلتمس لموقفها من التبرير ما يزري بكل منطق ويمتنع على كل كرامة . فهم يريدون للبنان ان يظل في ثقافته مشدودا الى الغرب ، ويعتبرونه مرآة

لهذه الثقافة الغربية ، ولا يعترفون له باستقلال فكري، الا ان يكون استقلالا عن الثقافة العربية التي يدين بها جيرانه. وهذه القضية ليست في آخر المطاف الا قضية الهوية اللبنانية . والعجيب ان هذه الهوية لا يثار موضوعها الا حين يبحث امر العلاقة بين لبنان وبين سائر اقطار العروبة والعربية . اما اذا شئنا ان نموضع لبنان بالنسبة للاقطار الغربية ، فلا حاجة بنا ، في رأيهم ، الى التحدث عن هويته.

وواضح ان طرح الموضوع في اساسه خاطيء . فنحن نود لبنان ان يكون ما هو حقا . انه جزء من الوطن العربي، تاريخيا وجغرافيا وثقافيا . ولن يكون ذا قيمة حقيقية الا بما هو ذلك كله . فهو بهذه الصفة ذاتها يستطيع ان يتبوأ مقاما مرموقا في وسط المجموعة العربية ، وان يؤدي رسالة طيبة في هذا الجزء من العالم . واما بما يلصقه به بعضهم من سمات « الغربية » و « التغرب » فنحسب ان هذا لن يضفي عليه اكثر مما يملكه ، وان ما يملكه من طاقات وامكانات ، في مختلف الميادين ، يجعله في المركز المتخلف بالنسبة لاقطار الغرب .

وواقع الامر ان شخصية لبنان الثقافية تتميز بسمات خاصة تجعله ذا طابع فريد في آثاره وانتاجه . ولكن هذه السمات لا تخرج بشخصيته عن الخطوط الرئيسية العامة للثقافة العربية الاصيلة . واذا كان بين ادبائه ومفكريه من انتج بعض الآثار بلغة اجنبية ، فليس في ذلك دليل معاكس. لقد عرفت جميع الاقطار العربية الاخرى مثل هذه الظاهرة، فلم يكن ذلك كافيا لحمل بعض هذه الاقطار، او بعض مفكريها، على الزعم بانها تنتمي في ثقافتها الى الغرب . فالمهم ان نتفحص الخصائص التركيبية لآثار المنتجين بالاجمال . فهل بوسع احد ان يثبت ان مفكري لبنان وادباءه يصدرون انتاجا يخرج في خطوطه وخصائصه العامة عن طبيعة الفكر العربي واتجاهاته ؟

وبعيد عن ذهننا طبعا ، حين نقول هذا ، اننا نود ان نقطع لبنان او اي بلد عربي آخر عن ورود ينابيع الثقافة الاجنبية. فنحن نعتبر ان من اسباب غنى الفكر العربي اتساع طاقته لتلقف الثقافة الاجنبية والافادة منها والتأثر بها ، من غير ان يكون من نتيجة ذلك فقدان الشخصية الفكرية العربية. بل ان في هذا التفاعل ما يتيح لهذه الشخصية ان تؤصل ذاتها وتجاري التطور الفكري في العالم وتسهم فيه .

***

وبعد ، فان معركة الثقافة التي حاول بعضهم ان يجعل منها فتنة في لبنان ، لم تنته بعد بالطبع . غير انها افضت الى ما افضت اليه ثورة لبنان كلها ، وهي توكيد غلبة الاتجاه العربي في المصير السياسي والمصير الثقافي .

ولا غنى للبنان من ان يظل في طليعة الموكب العربي ، وسيظل ابدا من حداة ركب العروبة .